سبب تسميته بعلم الكلام الجديد

علم الكلام الجديد هو في جوهرة علم الكلام التقليدي القديم، ولكنه تكامل وتطور في مجمل نواحيه المعرفية فبدا وكأنه على آخر، شأنه في ذلك شأن البذرة التي تنمو حتى تصبح ثمرة فلا تعود تشبه تلك البذرة في شيء من صفاتها، ولكنهما في الجوهر واحد، فبعد تجدد كل ما يحيط به على أثر المعطيات العلمية الجديدة من علم النفس والاجتماع والفلسفة النقدية [١]، والمادية [٢]، والوجودية [٣]، كان لا بد من

---

[١] الفلسفة النقدية : ترتبط الفلسفة النقدية في كثير من الجوانب بالفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط"، وتقوم هذه الفلسفة على الأسئلة الثلاثة المشهورة: ما الذي يمكنني أن أعرفه؟ ويمثل مشكلة المعرفة، وما الذي ينبغي أن أعمله؟ ويمثل المشكلة الأخلاقية، وما الذي أستطيع أن أمله؟ ويمثل المشكلة الدينية، فالمشكلة الأولى تخص العقل المحض، وتدخل المشكلة الثانية نطاق اختصاص العقل العملي، بينما تكون المشكلة الثالثة من اختصاص العقلين معا.

[٢] الفلسفة المادية : هي نظرة ميتافيزيقية ترى ان هناك محتوى او مادة واحدة في الكون ألا وهي المادة ، ويرى الماديون ان الروح غير موجودة، وان الخوارق والظواهر الخارقة للطبيعة والظواهر الغامضة هي أما أوهام أو امور تعزى للظواهر الطبيعية ، والماديون ليسوا ملحدين بالضرورة ، كما انهم لا ينكرون حقيقة الاخلاق أو اشياء مثل الحب أو العدل او الجمال او الخير.

[٣] الوجودية : تُعدّ الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية وأكثرها انتشارًا في الفكر المعاصر، والفلسفة الوجودية ترفض فكرة أنّ الكون يقدّم أي أدلّة حول كيف يجب أن يعيش البشر، ويمكن العثور على فهم مبسّط لنظام التفكير هذا في مقولة جان بول سارتر التي كثيرًا ما تتكرر، وهي "الوجود يسبق الجوهر"، ما يعنيه ذلك هو أنّه لا يمكن العثور على هويّة أيّ شخص –جوهره– عن طريق فحص شكل وتصرّفات الأشخاص الآخرين، ولكن فقط في ما فعله ذلك الشخص بعينه، نظرًا لأنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّ أفعاله سببها أيّ شخص آخر، والفلسفة الوجودية تركز على الحرية المطلقة والمسؤولية الفرديّة، وأنّ على الإنسان التحرّر من الماضي وكسر كل

اعادة طرحه بثوبه الجديد الذي يتلائم مع الواقع الجديد، لهذا سمي علم الكلام الجديد في إشارة الى امرين :-

- انه في جوهرة عين علم الكلام القديم، بدليل أنه ينطلق نحو الغاية نفسها التي كان ينطلق القديم لتحقيقيها، وهي الدفاع عن الدين الاسلامي، ويحتفظ بموضوعه مع توسعه فيه جعلته اشمل مما كان عليه .
- انه يختلف عن القديم في أنه متجدد في مجمل أبعاده المعرفية .

أما إضافة كلمة"الجديد"، فهي لتمييزه عن الكلام التراثي؛ نظرًا لأن الاختلاف لا يقتر على إضافة مواضيع جديدة، بل يتضمَّن تحولاتٍ كبرى في المناهج والغايات والقبليات والتصورات الذهنية والمفاهيم الأساسية.

نشأة علم الكلام المعاصر (الجديد)

لم يمضِ على هذا المصطلح زمن طويل في ساحة الفكر والثقافة، ومن المقطوع به أنه ظهرت إرهاصاته الاولى مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث برزت معطيات علمية جديدة تبرز العديد من المسائل الجديدة والافكار والتساؤلات التي لم تكن مطروحة من قبل.

القيود؛ الدينية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية. وعليه يمكن تعريف الفلسفة الوجودية بشكل عام، بأنّها إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان، فالوجود الحقيقي هو وجود الأفراد، أمّا النّوع فهو اسم لا وجود له، ونشأت الفلسفة الوجودية في ألمانيا وفرنسا وباقي دول أوروبا عقب الحربين العالميتين، اللتين أحدثتا حالةً من القلق والحزن والشك في الأخلاق، ووجود الإله، والقيم الإنسانية، والمثالية، حيث دعت إلى التحلّل من القيم والأخلاق، والانطلاق لتحقيق الرغبة والشهوة بلا قيد، =
=وللوجودية مدرستان واحدة مؤمنة، والأخرى ملحدة، وهي الأكثر تداولًا، إذ يمكن القول أنّ الوجودية قائمةٌ على الإلحاد، ويقول المؤمنون منهم؛ أنّ الدّين محله الضمير، أمَّا الحياة بما فيها فتخضع لإرادة الشخص المطلقة، ويُعدّ الفيلسوف والكاتب الدانماركي سورين كيركجارد أبرز مشاهير الفلسفة الوجوديّة والأدب الوجودي .

ومع تنوع العلوم وتطورها، خصوصاً تلك التي لها ارتباط بمسائل الدين، برزت الحاجة الى اعادة النظر في عدد من المسائل المطروحة، وتجلت ضرورة الدفاع عن العقيدة الاسلامية من جديد ضمن الأطر الحديثة وعلى ضوء العلوم اللغوية والنفسية والاجتماعية والفلسفية الحديثة.

وعلى ضوء ذلك يمكن ان نقول ان ما يقدم في بلادنا اليوم بوصفه علم الكلام الجديد هو عين ما يدرس في الغرب تحت عنوان (فلسفة الدين) والتي بدأ استخدامها للتعبير عن مثل الاسئلة التي تطرح حول الدين مثل تعريف الدين ومنشأ الدين وحاجة الانسان الى الدين .

إذ يتفق الكلام الجديد مع فلسفة الدين في الموضوعات محل البحث، وفي استخدام المناهج الحديثة، وإن اختلفا في الغاية، فعلم الكلام الجديد يهدف – بجانب المسائل الجديدة – إلى إعادة موضعة الدين في الحياة المعاصرة بما فيها من تحولاتٍ جوهرية .

ظهور وتطور علم الكلام المعاصر (الجديد)

استُخدم مصطلح "الكلام الجديد " في الأوساط العلميّة الإسلاميّة لأوّل مرّة من قِبَل الكاتب الهنديّ سيّد أحمد خان [٤]؛ حيث قال في خطاب له عام 1286 هـ "إنّنا

---

[٤]سيّد أحمد خان بهادر (١٣٠٦– ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م – ١٨٩٨م) سياسّي، ورجل تعليم هنديّ مسلم .عدّه البعض أحد أبرز قادة حركة الإصلاح الاجتماعيّ والثقافيّ في الهند، ورائد التعليم الحديث للمسلمين في هذه البلاد، وذلك بتأسيسه الكلّيّة المحمّدية الأنجلو شرقية، والتي تطوّرت لتصبح جامعة عليكرة الإسلاميّة لاحقاً .لم يشارك في أحداث ثورة الهند ضد الإنجليز، والتي قادها المجاهدون المسلمون .تفاهم مع البريطانيّين، وساهم في إنهاء حالة العداوة بين الطرفين . ترك عدة مؤلّفات في مجال التاريخ والآثار والمعارف الدينيّة .له آراء تفرّد بها، مما أثار حفيظة عدد من علماء المسلمين.

نحتاج اليوم إلى علم كلام جديد، نستعين به على إبطال التعاليم الجديدة، أو إثبات مطابقتها لمراتب الإيمان في الإسلام " [٥] .

والذي أدرك الهوَّةَ الفاصلة بين واقع المسلمين والغرب، فتبنَّى منهجًا إصلاحيًّا يقوم على إعادة بناء نظام التربية والتعليم عند مسلمي الهند، بحيث يستوعب العلوم والمعارف الحديثة . وقد جمع خان بين الاطلاع على التراث الإسلامي – في الهند خاصةً – والمعارف الحديثة، فشرع في تناولٍ جديدٍ لعددٍ من القضايا الكبرى في علم الكلام منها : النبوَّة، والوحي، والموقف من الآخر غير المسلم، وتفسير القرآن.

فقد رأى أحمد خان أنَّ النبوَّة مَلَكَةٌ طبيعيةٌ يتطلَّب تحقيقها بيئةً ومناخًا خاصًّا، وأن الوحي عبارة عن نشاط العقل الإلهي في النفس والعقل القدسي البشري، نزل بالمعنى دون اللفظ؛ أي إنَّ مضمون الوحي إلهيٌّ، أمَّا اللفظ فبشريٌّ بلغةٍ عربية .ويُفهم من ذلك أنَّ خان يلتقي مع الفلاسفة الذين تحدَّثوا عن الله بوصفه عقلاً كُليًّا، وليس ذاتًا متعالية عن العالم، وأنَّ النبيَّ هو أيُّ شخصٍ يتواصل مع هذا العقل الكُليِّ، لوجود مؤهلاتٍ شخصية لديه، تؤهله لهذا الاتصال، ومن هذا الاتصال تحدث عملية الوحي، فيأخذ النبيُّ من العقل الكليِّ المعاني والمبادئ والفكر، ويصغيها بلسانه وكلماته البشرية، ومن ثَمَّ لن يتقيَّد الفقيه أو المتكلِّم المسلم بحرفيَّة القرآن، وستصبح المعاني الكليَّة في القرآن هي الأبديَّة، ويصبح اللفظ متغيراً مرتبطًا بسياق شخص النبيِّ وعصره.

وبعد ذلك، جرى استخدام هذا المصطلح كعنوان لكتاب الفه الهنديّ المسلم شبلي النعمانيّ[٦]، (1332هـ) .

---

[٥] تاريخ الفلسفة في الإسلام، ميان محمد شريف[النسخة المترجمة إلى الفارسيّة :تاريخ فلسفه در اسلام]، ج4 ، ص. 202 – 201

[٦] شِبْلي حبيب الله بن سراج الدولة النعمانّي (/ 1332 – 1275 هـ/ 1914 – 1857 م) عالم وشاعر هنديّ مسلم، عمل في جامعة عليكرة، وشارك في تأسيس ندوة العلماء بلكنو .أبرز كتبه :علم الكلام، والسيرة النبويّة، وسيرة عمر بن الخطاب، ونقد لكتاب تاريخ التمدن الإسلاميّ، رد فيه على كتاب جورجي زيدان، وبعض الكتب الأدبيّة، ومقالات منوّعة[.م]

الا اننا لا نستطيع ان نجزم بأن شبلي النعماني وسيد احمد خان هم أول من نحتوا هذا المصطلح الذي اضحى عنواناً للاتجاه الحديث في اعادة بناء علم اصول الدين، لكنهم كانوا من أوائل الداعين الى تجديد علم الكلام بغية الرد على الشبهات الحديثة والدفاع عن الشريعة المقدسة.

وكان العلامة الشهيد مرتضى المطهّريّ(1399 هـ) أوّل من تطرّق في إيران إلى ماهيّة الكلام الجديد، وضرورة البحث فيه [٧]، إذ صرح بأن من اهم واجبات العلماء المسلمين تأسيس ما سماه " علم الكلام الجديد" ودعاهم الى العمل على طرح المسائل الجديدة ووضعها على بساط البحث (ومن هذه المسائل معالجة النظريات التي تحاول تفسير منشأ الدين)، كما رأى ضرورة اعادة النظر في المسائل القديمة (الوحي، الالهام، وجود الله، الامامة) ومعالجتها على ضوء ما استجد من شبهات واشكاليات .

ورغم التقاء العلمَينْ الكلاميَّنْ الجديد والقديم في الدفاع عن الدين في قضايا مختلفة تبعًا لعصر كلِّ امة، فإنَّ هناك فرقًا جوهريًّا في مصدر هذه القضايا، فبينما كانت السياسة وراء ولادة الكثير من الأسئلة والمعتقدات والآراء الكلامية في القرنَينْ الأول والثاني من التاريخ الإسلامي، مثل أسئلة الخوارج حول الحاكميَّة بعد معركة صفين، وولادة القول بالجبر والقدر في العصر الأموي، ومسائل ارتكاب الكبيرة وغيرها، نجد

---

[٧] لا نبالغ إن وصفنا هذا الحكيم الفذّ بمحيي الكلام الإسلاميّ؛ حيث أدرك ضرورة الكلام الجديد في الدفاع عن كيان الفكر والإيمان الدينيّ، ونبّه المفكّرين الإلهيّين إلى رسالتهم الخطيرة قائلاً : »طالما أنّنا نواجه في عصرنا شبهات حديثة وغير مسبوقة، وبعد ظهور بعض المؤيّدات التي ترتبط بالتقدّم العلميّ الحديث، وانعدام المبرّر الموضوعيّ لكثير من الشبهات القديمة في زماننا، كما فقدت كثير من المؤيّدات السابقة قيمتها، فمن هنا، يتحتّم تأسيس كلام جديد .« ...
راجع : حول الجمهوريّة الإسلاميّة، مرتضى المطهريّ،[النسخة الفارسيّة :پيرامون جمهوري إسلاميّ] ط 17 ، ص . 38 – 37 وهذا ما دعى بعض المعاصرين إلى تسمية المطهريّ بمؤسّس الكلام الإسلاميّ الجديد .راجع :المطهّريّ وعلم الكلام الجديد، في ذكرى العلامة الشهيد المطهريّ [بالفارسيّة : يادنامه استاد شهيد مرتضى مطهري]، رضا داوري اردكاني، ج2 ، ص . 35 وكذا :إطلالة على الكلام الجديد[بالفارسيّة :آشنايي با كلام جديد]، همايون همّتي، ومقدّمة على الإلهيّات المعاصرة ، ليث وآخرون، ص. 40

أنَّ مسألة إيمان الفرد تحتلُّ الأهمية في توليد قضايا علم الكلام الجديد مثل :العلاقة بين العلم والدين، والتجربة الدينية للفرد، ومكانة الدين في عصر شيوع الإلحاد، والقضايا السياسية، والأخلاق والحقوق والحريات .

مما يجيز القول : إنَّ علم الكلام الجديد يخاطب الفرد المسلم، الذي يتمتَّع بكيانٍ مستقلٍّ لم يعرفه هو أو غيره من البشر في القرون الماضية، مما يجعل الكلام الجديد موجهًا للفرد لا السلطة، بفعل تنامي استقلال الفرد على حساب قبضة السلطة، ووجود وسائط عديدة للمعرفة في عصر الثورة المعلوماتية والانفتاح بين البشر .

موضوعات علم الكلام الجديد

مواضيع علم الكلام الجديد متنوِّعة ومتجدِّدة، ومستمدَّة من الواقع والقضايا التي تشغل بالَ الإنسان المؤمن بشكلٍ عامٍّ، والمسلم بشكلٍ خاصٍّ .ويتَّسم تناول هذه القضايا بالانفتاح على العلوم المختلفة، ومراعاة النفس البشرية والعوامل الاجتماعية وغير ذلك .وتؤثر شخصية المتكلِّم وهمومه وتصوراته في نوعية الموضوعات التي ينشغل بها، وكيفية معالجتها.

إذن فموضوعات علم الكلام الجديد تبحث عن الامور العقائدية والامور الاخلاقية، والقضايا الوجودية، وقضية الانسان (القضايا الانسانية الجديدة كالحرية والحقوق والديمقراطية)، بل عن بعض الامور الفرعية المختلفة في مجالات شتى، وهو ما يجمعه كلمة " القضايا الفكرية " .

علم الكلام الجديد (المعاصر)

بأنه علم يبحث في تبيين وإثبات القضايا الفكرية الاسلامية والدفاع عنها .

افاق التجديد في علم الكلام المعاصر

هناك رؤية تؤمن بأن التجديد في علم الكلام هو بتحويل الجهد الكلامي الى مؤسسة أو مأسسة علم الكلام، ذلك من خلال الاهتمام بمجموعة أمورٍ من قبيل تشكيل مؤسسات تقوم على تصحيح التراث الكلامي وإخراجه من المكتبات القديمة ومن عالم المخطوطات وتحقيق هذه الكتب وطباعتها طباعةً عصريةً .

كذلك إقامة المؤتمرات الدورية والملتقيات والمنتديات التي تُعنى بالفكر الكلامي، وتأسيس مكتباتٍ كلاميةٍ متخصصةٍ تتوفر فيها جميع المصادر والمراجع الكلامية

القديمة والحديثة، وكذلك تأسيس بنوك معلوماتيةٍ كلاميةٍ يسهل على الباحثين في المادة الكلامية، وتحويل علم الكلام الى عالم الانترنيت والكمبيوتر ونحوها .

بالإضافة الى كل ذلك الاهتمام بالإصدارات الكلامية المتخصصة من مجلاتٍ ونشريات ودوريات وكذلك تهيئة معاجم مفهرسة ومعاجم مصطلحات ودائرة معارف وموسوعة، كما تجدر الاشارة هنا الى دور مراكز الترجمة التي تنقل الفكر الآخر كما نعرف الآخر بالفكر الكلامي الإسلامي و ... هكذا ..

ومن الضروري تأسيس مراكز تعليمية تتخذ الكلام مادة اساسية وتلحق بها ما صار يلاحقها من علومٍ ومعارف اخرى كعلم المعرفة والنفس والاجتماع وتاريخ العلوم والاسطورة وغير ذلك من المشاريع والبرامج الكثيرة هذه الرؤية موجودة لدى الكثيرين اليوم سواءٌ صرحوا بذلك في كتاباتٍ أو لا، فهي رؤية يعيشها الكثير من الذين يحملون الهم الفكري على الصعيد الديني عموماً.

مع القبول الكامل لهذا المشروع الكبير والذي توجد نشاطات واسعة اليوم وموفقة الى حد كبير تتحرك في اطاره، الا ان الذي ينبغي ملاحظته هو ان التجدد والتغيير الذي حصل يستدعي اصلاحات كبيرة وعميقة في العقل الكلامي نفسه، فالملاحظ ان التجدد الذي حصل كان على أكثر من مستوى وعلى أكثر من صعيد مما يمكن إيجازها :

١- تجدد المسائل إذ ان قسماً كبيراً من مسائل علم الكلام لم يعد له اليوم وجود بمعنى انه لم يعد يشكل القضية التي تشغل اهتمام الباحثين والمفكرين بل ان بعض الافكار والرؤى صار بطلانها اليوم غير محتاج الى توجيه وتفسير نظراً الى انهيار كل الاعمدة التي انبت عليها تلك الافكار عبر الزمن، في مقابل كل ذلك ظهرت افكار جديدة ومذاهب كلامية جديدة يصح لنا ان نقول انها اكثر بكثير مما ذهب وتنحى .

٢- تجدد المبادىء بمعنى ان كثيراً من دراسات علم المعرفة والوجود وكذلك العلوم الانسانية والطبيعية والابحاث الرياضية قد تبدلت وتغيرت من أساسها، ومن هنا فان بقعة كبيرة من اهتمامات وادلة ونقاشات المتكلمين صارت بلا معنى في ظل التحولات العلمية، وهذا نحو مهم من انحاء التجدد الحاصل.

٣- تجدد المنهج وهو اهم انواع التجدد فقد كان المنهج المتبع سابقاً في علم الكلام هو المنهج الجدلي القائم على القضايا المسلم بها (أي القضايا الثابتة التي لا تحتاج الى اقناع أو بديهية لا تحتاج الى دليل او برهان كالإيمان بالله فهو اصل البديهيات ولا يعلم الغيب احد) والمشهورة لدى الطرفين، ثم حصل تطور في زمن نصير الدين الطوسي والرازي ففضلاً عن ان الفلسفة نفسها قد خضعت لتحولات بنيوية، فان العلوم الاخرى قد تعرضت هي الأخرى أيضاً لانقلاباتٍ منهجية بل صار المنهج نفسه عرضةً للنقد والتحليل وهذا كله يستدعي موقفاً علمياً من الكلام المعاصر .